في الماضي معطيات تاريخية نجمت عن تدخل الدول الاستعمارية في القرن التاسع عشر في شؤون الوطن العربي قد شكلت هذه « الخصوصية » وسعت الى ترسيخها ، فان القصد منها الان ، استنادا الى هذا التراث التاريخي الذي زالت مبرراته المباشرة ، هو وضع سد منيع أمام التطورات الاجتماعية والسياسية التي تجتاح الوطن العربي لتمنعها من النفاذ الى داخل البنية الاجتماعية — السياسية اللبنانية بهدف المحافظة على الاوضاع القائمة كما هي والتي تستفيد منها بشكل وحيد وبالحصر الطائفية — البرجوازية . على هذا الاساس يمكن تفسير المعادلة التي تطرحها الفئات الانعزالية في المجتمع اللبناني ، وفي المقدمة منها حزب الكتائب ، التي تدعو الى : اللبنانية — مقابل — القومية العربية ، بأن « اللبنانية » هنا تعني الطائفية البرجوازية التي تهددها بالتأكيد التطورات الاجتماعية والقومية في سائر ارجاء الوطن العربي . ان « الخوف من العروبة » لا يمكن ان يكون له تفسير ديني ما دامت العروبة علمانية في الاساس ، كما ان « الخوف التاريخي » الموروث من المجازر التي حدثت في لبنان في القرن التاسع عشر كانت أسبابه الحقيقية طائفية في ظل غياب الوعي القومي . وهكذا فلا يمكن تفسير تنمية الاحاسيس الغامضة بالخوف من العروبة لدى الكتائب الا بانه خوف على المصالح الطبقية لدى الاطارات العليا وبأنه دفاع عن مواقعها وامتيازاتها .

الى أي مدى يمكن ان يرتبط وضع كهذا بالمؤثرات الخارجية ؟ في النصف الاخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حتى الحرب العالمية الاولى عندما كان « الرجل المريض » يحكم الوطن العربي وعندما كانت الدول الاوروبية تسعى الى مد نفوذها الاستعماري في وطننا العربي ومن ثم تتشوق الى اقتسام تركة « الرجل المريض » ظهر تقليد مارسته بعض دول اوروبه يهدف الى بسط « الحماية » على الاقليات الدينية في هذا الوطن . واذا كان الوعي القومي والنضال الذي خاضته الجماهير العربية في تاريخها المعاصر ضد أشكال الاستعمار قد ابطلا هذا التقليد ، فقد ورثه غلاة الطائفية الذين يجدون ان ارتباطهم بالاجنبي » يوفر لهم نوعا من الحماية يحافظون في ظلها على مصالحهم ، ويقدمون مقابلها خدمات « للاجنبي » بوضع انفسهم ضمن دائرة ارادته ورهن اشارته. ولقد كان استدعاء رجال الاسطول الاميركي في الحرب الاهلية في العام ١٩٥٨ أبرز الامثلة الدالة على هذه الحقيقة .

غير ان الارتباط بالمؤثرات الخارجية يتجاوز في ظل واقع الاقتصاد الرأسمالي اللبناني الراهن معطياته التاريخية ويتقولب بفعل مؤثرات نابعة من بنية الاقتصاد نفسه وانعكاساتها على تشكيل البرجوازية اللبنانية . لقد نمت الشريحة المؤثرة في البرجوازية اللبنانية (نعني الكمبرادور) ضمن اطار بنية اقتصاد رأسمالي متميز بأنه اقتصاد خدمات بالدرجة الاولى. وقد ازدهرت هذه الشريحة المؤثرة في ظل هذا الاقتصاد باعتبارها شريحة وسيطة بين مصادر البضائع والرساميل في اوروبه الغربية واميركه وبين الاسواق المحلية في لبنان وبعض الاقطار العربية كذلك . ان اقتصاد الاستيراد هذا كون ليس المعالم الاقتصادية للبرجوازية اللبنانية فحسب وانما كذلك ملامحها السياسية من حيث ارتباطها المصلحي بالسوق الرأسمالية الاوروبية الغربية — الاميركية وبالتالي تبعيتها السياسية لهذه السوق . واذا أخذت المكونات الطبقية للطائفية في الاعتبار يمكن التوصل الى النتيجة التالية : ان ارتباط غلاة الطائفية بـ « الاجنبي » محكوم ، في الجانب المؤثر منه ، بطبيعة البنية الاقتصادية اللبنانية وافرازاتها السياسية .

ان هذا العرض الذي سبق يوضح الموقف الكتائبي من المقاومة الفلسطينية وعلى أرضية هذا التحليل سنعرض لهذا الموقف :

على الرغم من ان حركة المقاومة جعلت أحد أسس تعاملها مع الدول العربية عدم التدخل في شؤونها الداخلية ، الا ان وجود المقاومة نفسه في لبنان — كما في غيره من الاقطار العربية حيث الوجود الفلسطيني كثيف — كان لا بد ان يفعل في اتجاهين :

الاتجاه الاول ان الحضور الفلسطيني (الفلسطيني بمعنى الارتباط بالحركة الثورية الفلسطينية) في تماسه اليومي المباشر مع المؤسسات المعبرة عن البنية القومية للمجتمع يعمل نحو التأثير